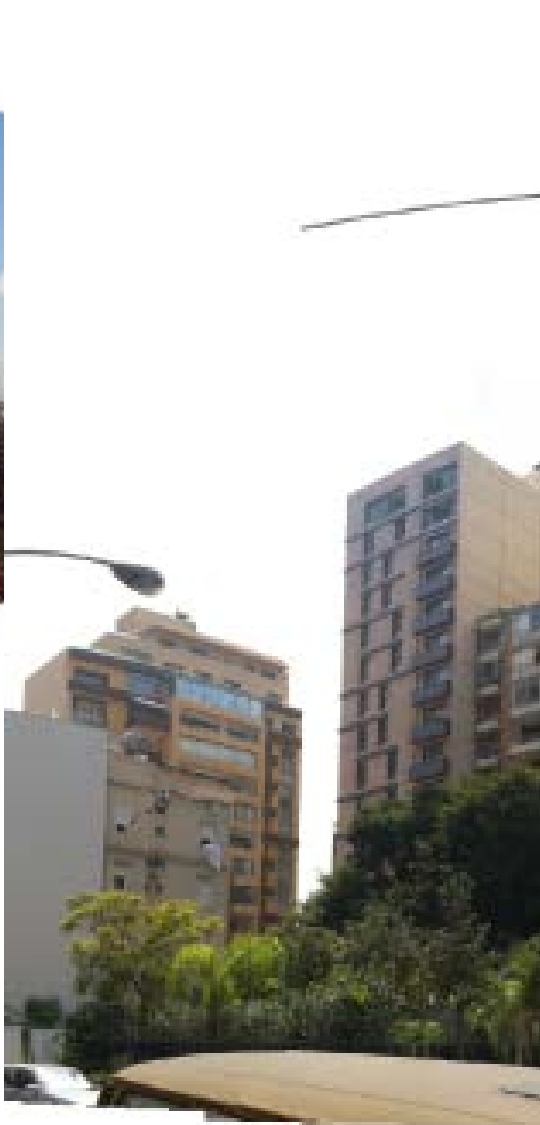


# تراداتها.. مدينة تختنق



الانتشار  
المنفصل  
لناطحات  
السماء

المباني، وتتغير واجهاتها، وتتغير معها الوان الستائر التي تحجب كلياً شرفاتها، حيث يختبئ الناس خلفها، في طقس أشبه بالاختناق الطوعي.

قد يختلف كل ذلك... إلا أن الثابت الوحيد، هو أن الطريق، والدرب، والزروب، والفسحة، والرصيف إذا وجد، وما تبقى من أرض لم تبين... كل هذه الأمكنة، تشكل موقفاً كبيراً للسيارات. وكلما ازداد ارتفاع مبني، ازداد عدد السيارات المتوقفة في الدرب المؤدية إليه، وفي التراجع الذي يفضله عن هذا الدرب، وفي أي فسحة هناك.

الاختناق الفعلي هنا، هو مؤكّد. يحمله إلى كل الطوابق، ويزرعه في كل الأمكنة، هواءً مقلّب بنسبة عالية من ثاني أكسيد الكربون الخانق.

هل من مجال أخضر مخفّف؟ كلاً! وحدها، أشجار الرصيف تخفّف من حدة التلوّث، ومن خطر الاختناق الفعلي. هذا إذا لم تقطع الأشجار هذه، لتقف السيارات على الرصيف.

## 5- الخاتمة... أو ما العمل؟

ينتشر البنيان العاموديّ البرجيّ، بنيان رأس المال الكبير والمضاربات العقاريّة، بامتداد المدينة العاصمة، يخنقها في الدروب، وفي الزوارب والفسحات، وفي كل ما يوصل إلى البيوت فيها. يتسلق التلال القريبة. يصعد إلى القمم.

يحد رأس المال الكبير، وتحذ المضاربات العقاريّة يحضنها قانون البناء، من قدرة التنظيم المدني.

وتبدو الممارسات المعماريّة اليوم، محكومة بتأمين غلاف للمباني، فيه من المشهديات والإبهار، ما يقنع هذه الوقائع الخشنة. لقد كان ممكناً لأربعين سنة مضت، المحافظة على قدر من السيطرة الإيجابية، على شكل النسيج المدني في بيروت، وعلى معناه.

أما اليوم، فقد ذفن قلب بيروت التاريخي في البحر، وطغى بالتدرج، على المتبقّي من النسيج المدني التاريخي، الأدوات المتعاشتان، في التمدد الميغالوبولي للمدينة، وهما:

- الانتشار المنفصل الخانق للمباني البرجية.

- الأوتوسترات المتلوّية في أحشاء النسيج العنق.

فالأداة الأولى، أدت وحدها، إلى ارتفاع في أسعار الأراضي.

أما الثانية، فقد دفعت هذا الارتفاع إلى مناسيب مدهلة.

دُمّر قلب بيروت التاريخي، واختنقت المدينة، وأعلنت «الحضارة الكونية» انتصارها، معلنة في الوقت ذاته هزيمة ثقافتنا... هزيمتنا، فما العمل؟!

في البداية، نحمي بعض الجيوب المبنية الجميلة، المقاومة.

ونبذل كل الجهود، لإجراء تعديل جذري لقانون البناء.

\* معماري لبناني

جلدها. إنه رأس المال المتوحش، والريغ العقاري الجشع، يصنعان جسد المدينة ويحيكان جلدها.

لا مسام في هذا الجلد. لن تتنفس المدينة. المدينة تختنق.

■ المجاورة والتواطؤ... المجاورة والقمع. المجاورة، هي أن نبني بجوار ما هو قائم. وفي كل مجاورة، تواطؤ. وفي التواطؤ تسامح وقبول.

قبول يفترض تواض النسيج المبني في الزمن. كما يفترض سياقاً عاماً، نقرأ في

## ازداد العازل المذهبي وضوحاً، مع الأوضاع العربية الراهنة

عمارته هذا التواصل. تواصل يتجسد أمامنا، وكأنه تتابع فقرات، في شريط سينمائي ناجح.

وقانون البناء المعمول به حالياً، لا يرى أية قيمة، في معظم ما هو قائم. قيمة تاريخية، أو قيمة معمارية، أو قيمة جمالية، أو قيمة رمزية، قيمة الذاكرة الجماعية.

وهو يدفع، بقوة رأس المال، لاستبداله بما هو أكبر منه مساحة. ويدفع خاصة، لاستبدال كل ما هو أفقي إنساني، ببرج ينطخ السماء.

تحتل مجموعات الأبراج ناطحات السماء، معظم الأمكنة في بيروت الكبرى، متجاورة، تكاد.

وهي لا تقبل مجاورتها، ولا تتواصل معه. وحده الأفق البعيد يشدها، والعيش في فقاعة معزولة رائدها. إنه «الاختناق النموذجي».

وإذا فشل القانون في إزالة القائم، فهو يجاوره أو يلاصقه، ببرج يُبعد الشمس عنه، ويظلمه في كل ساعات النهار، أو يحجب عنه الرؤية كلياً.

إنها مجاورة قامعة، وفيها الاختناق الأكثر إيلاًماً.

## 4- الطرقات، والزوارب، والفسحات، والارصفة إذا وجدت هي مواقف للسيارات... مجال المدينة بكامله، مرآب كبير

المتجول داخل الجزر المبنية المزترية، يدخلها من الطريق الرئيس. يكتشفها تبعاً، في تشعبات الدروب المتلوية الضيقة، وفي الزوارب المسدودة، أو في الفسحات المتواضعة في آخر هذه الزوارب، أحياناً.

علاقة المباني، مع مسار الدروب والزوارب، غير منتظمة. يفرض هذه الفوضى، ارتفاع المباني، التي كلما ازداد ابتعادها عن حدود الدرب، ازداد ارتفاعها. يرتبط كل ذلك، بشكل العقار، وبمساحته.

الطريق الرئيس الذي دخلت منه، احتلت السيارات جانبيه، وفي داخل الجزيرة المبنية، السيارات في كل مكان. قد تختلف ارتفاعات

الأوتوسترات والطرق الرئيسية. وفي بنية النسيج الكليّة، تلاصق، وتجاور، واختناق. كتل غير متجانسة، وكأنها في مجملها، صخرة نبتت في مكانها منذ بداية الزمن، خشنة، صلبة، مترقصة الارتفاعات.

■ في جلد الصخرة السميكة... الفتحات واسعة فوق الأوتوسترات، والفتحات المسام، غائبة في كتلة المباني.

تقترب من الصور. يبدو لك، وكان للصخرة جلد سميكة يلغها، حيك بصير. تزيد من اقترابك. في الجلد، فوق الأوتوسترات والطرق الرئيسية، فتحات واسعة، تعطي لما تحتها حصّة كبيرة من السماء. وتدخل الهواء المنعش، والشمس المضيئة التي تحيي.

■ جلد المدينة، ومسامه تدق في الصور التي أمامك. تحدق في جزئيات جلد الصخرة.

في داخل «الجزر - المدينة»، جلد «النسيج المبني - الصخرة»، سميكة، الفتحات فيه غائبة تكاد، لا مسام في هذا الجلد. وجلد المدينة مسام كجلد الإنسان، يتنفس عبر مسامه. كيف يتنفس جلد لا مسام فيه؟ كيف تتنفس المدينة؟

أقول ببساطة، إنها لا تتنفس. وهي تختنق فعلاً لا مجازاً. بعد موت قلبها، واختناقها الاجتماعي.

■ التوازن في صنع المدينة، وفي حياكة جلدها «يجب أن نعطي السماء حصتها، كما في الإبحار حصّة الريح. يبنون أجساماً ملأى دون فراغات، فلا يُبحر مركبهم» (جوزيف جوبير، 1799).

منظم المدن، والمعمار، هما حائكان قلقان. مصدر قلقهما، هو التوازن بين الفارغ والمليان، في كتابة عمارة المدينة، وفي حياكة جلدها.

نسب متناسقة، وتوازن ضروري، يتحان للمدينة أن تتنفس بشكل طبيعي، أي أن تحيا. التوازن الضروري، كي يُبحر مركبها في بحر الإعمار الإنساني الحقيقي. لا حصّة للسماء في نسيج مدينة بيروت، ولا حائك قلق قد حاك



بيروت تختنق... لا مسام في جلدها لكي تتنفس  
برج أبي حيدر مثلاً